الفصل الرابع والعشرون

تعليم المرأة

أشبعنا الكلام في الفصول المتقدمة عن ضرورة التعليم بوجه الإجمال، وشدة حاجتنا إلى العلم الذي نضب في بلادنا معينه –أو كاد–. بحيث أصبح الوطن مفتقرا إلى أهم موارد الحياة، وأمسى علي وشك أن يبتلى بالدمار والبوار إذا لم يتداركه السكان بنهضة ينسخون بها آية الماضي، ويستبدلون الثوب القديم بلباس العلم الجديد، أو ينسخون آية الليل بآية النهار (إنها كانت مبصرة).

وقد جعلنا البحث في الفصول المتقدمة دائرا علي تعليم الرجال دون أن نتعرض لمسألة تعليم المرأة لعملنا بما لها من الشأن، ورغبتنا في إفراد فصل خاص نحيط فيه بأطراف هذا الموضوع الخطير.

ألمعنا في فصل العائلة إلى خطارة مقام المرأة، ولا بدع فإنها الزوجة، والأم. وهي أول من يعهد إليه بتربية الولد، ويوكل إليه أمره ليصير رجلا حقيقيا، فمن العبث أن نتركها في حالة الجهل التي هي فيها، ثم نطالبها بإحسان التربية، وتتمة عمل الخلق العظيم.

وليس في وسع أحد ممن اطّلعوا علي المقالات التي نشرناها فيما مضى سواء في مجلتنا "الراوي" التي أخنى عليها الدهر وأسفاه لأسباب ليس هذا موضع ذكرها، أو في جريدة "الأهرام" الغراء. أن ينكر أننا نناضل منذ سنين، وأعوام في سبيل تعليم المرأة، وتربيتها تربية صحيحة تصبح معها مساعدة

حقيقية للرجل في كل الشئون التي تطلب منه. ونحن لا نقول ذلك من قبيل التظاهر، بل الدلالة علي أن الموضوع الذي نحن فيه ليس بالجديد، وأن المطالبة بتعليم المرأة الشرقية ليس بالبدعة التي ينبغي رفضها واستنكارها.

وقد كنا دائما نتحفظ في الكلام علي المرأة المسلمة، ونمسك القلم عن الجري في مضمار الحض علي تعليمها وتربيتها، وبالتالي علي تحريرها من ربقة الجهل، ورفعها من الدرجة التي انحطت إليها إلى مقام المرأة الحقيقية: وهو مقام الزوجية التي يحق لها الحب، والأم التي يجب لها الاحترام. ومن يتصفح فصل العائلة من هذا الكتاب تتضح له حقيقة هذا القول إلى أن صدر في هذه الأثناء كتاب حضرة الفاضل (عزتلو قاسم بك أمين) المستشار في محكمة الاستئناف الأهلية بعنوان "تحرير المرأة"، وهو الكتاب الذي أشرنا إليه في ذلك الفصل دون ذكر عنوانه واسم مؤلفه، فلم يبق لنا عذر علي السكوت بعد صدور ذلك المؤلف الجليل الذي اثبت ما قلناه في فصل العائلة من تنبيه أفاضل الكتبة المسلمين إلى النظر في أمر المرأة، وإدراكهم أن معظم الفساد الذي لحق بتربيتنا ناجم عن سوء تربيتها، واسترقاقها، وانحطاطها إلى درجة لم تنحط إليها امرأة من قبل، حتى كأنها من الأمتعة التي تباع وتشرى، ولا تقتني إلا للذة الرجل وخدمته.

ولسنا نفيض هنا في بيان الأسباب التي أوصلت المرأة الشرقية –والمرأة المسلمة بنوع خاص– إلى تلك الدرجة التي تقدم لنا ذكرها، بل نحن نحصر الأسباب كلها في سبب واحد: وهو إهمال تعليمها، وتربيتها بحيث أصبحت أمة للرجل، وأضحت لا تعرف لنفسها قدرا ولا مقاما.

ولعمري أننا لولا روح الأثرة وحب الذات لما أتينا نحن الرجال ما آتيناه مع المرأة من تركها تنغمس في لجج الجهالة؛ ليسهل لنا امتلاك قيادها واسترقاقها،

فلا تبقى لها إرادة ذاتية. ولولا ذلك لكنا ندرك بسهولة أن بقاء نصف المجتمع الإنساني في ظلمات الجهل مما يجلب علينا الضرر، والتعب، والخسران. وإلا فكيف تحسن المرأة تربية أولادنا، وتدبير شؤوننا المنزلية، وترتيب أحوالنا الداخلية؟ وكيف نجد معها لذة الحياة تامة من كل وجوهها، وكيف تشاركنا في أمور الدنيا، وتسهل علينا مصاعبها، وتخفف أثقالها؟. وكيف تقاسمنا الفكر والرأي، وتستطيع البقاء علي ولائنا والأمانة لنا إذا كانت جاهلة على غير علم، ولا تربية، ولا أدب؟

ومن تراه يبث في الولد الصغير روح الأدب، والتربية، والميل إلى العلم والعمل إذا كانت تلك الأم التي دُفع الولد إلى عهدتها جاهلة، لا تعرف للتربية قيمة، ولا للعلم قدرا.

وأية قدوة تكون لأولادك أيها الرجل إذا كانت أمهم لجهلها، وقلة تربيتها لا تعرف من أحوال الدنيا سوى التبرج، والتدخين، وصرف الوقت في كل ما من شأنه أن يميت العواطف الشريفة، ويفسد الأخلاق الغريزية الحسنة.

ومن ينكر أن البطالة التي يُقضى علي المرأة بها، وجهلها عندنا لا تقودها إلى كل ما لا يستحب لها، ولا يحب منها، بل إلى كل ما لا تحمد عقباه، ولا يكون إلا قدوة سيئة لأولادها والناظرين إلى أعمالها للجري علي خطتها، والاقتداء بها.

هذا ولسنا نطيل الكلام في هذا الموضوع، بل نعمد في الحال إلى تضمين هذا الفصل فصولا نشرناها في جريدة "الأهرام" الغراء، وفي مجلة الراوي للدلالة علي أننا علي اتفاق تام مع حضرة صاحب كتاب "تحرير المرأة" في وجوب تعليم المرأة الشرقية، وتهذيبها. مفتتحين هذه الأقوال بآخر فصل نشرناه في الأهرام في موضوع تعليم البنات، وقد صدر في العدد ٦٢٢٣ بتاريخ ١٢ سبتمبر من عام

١٨٩٨م. وهو كما نشر في حينه دون تغيير فيه ولا تبديل.

تربية البنات

"وقد وجدت مجال القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل"

تقدمت لي تحت عنوان "العلم والتربية" مقالة في عدد سابق بحثت فيها بحثا مستفيضا في مسألة ذات أهمية لا تخفى علي ناقد بصير: وهي كثرة الأميين من الأهالي الذين يبلغ عددهم نحو عشرة ملايين، وليس فيهم من يعرف القراءة البسيطة غير عشر هذا العدد، ثم وجهت الأنظار إلى وجوب عقد الخناصر علي مداواة هذا الداء بنشر المدارس الابتدائية، وتعليم أبناء الشعب مبادئ لغتهم، وتاريخ بلادهم، وقواعد دينهم الصحيحة؛ ليتمكنوا بذلك من معرفة ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات.

ويسرني أن هذه الكلام قد وقع أحسن وقع في نفوس القراء، وكان له أجمل تأثير في نظر الذين ينظرون إلى مستقبل البلاد أكثر مما يلهون بحاضرها. مما شجعني علي معاودة الحديث في هذا الموضوع، ولكن من وجهة أخرى، ومغنى آخر، قاصرا الكلام اليوم علي تعليم الابنة لتصبح امرأة قادرة علي إدارة شئون المنزل إدارة حسنة، والقيام بالفروض الطبيعية التي يفرضها عليها الزواج والأمومة.

ولذلك رأيت أن اقتطف من كتاب "العلم والتربية" الذي اشتغل في وضعه شذورا من فصل في تعليم الابنة الشرقية عامة، والمسلمة خاصة. وأنا مع إقراري بالعجز، والقصور في مثل هذا الموضوع الخطير أسأل حضرات الكتاب من السادة المسلمين عذرا علي تطاولي إلى الأخذ بهذه المسألة التي كان يجب أن يكونوا هم فرسان مضمارها، ولكنني أكتب عن الشرق عامة، فلا يحسن بي أن

أقصر الكلام عن فئة من أهله دون أخرى.

ومن وجه آخر فقد رأيتهم أحجموا فأقدمت، وسكتوا فتكلمت، بحيث ينطبق علي قول الشاعر:

وكم قائل، مالي رأيتك "راكبا"؟ فقلت له: من أجل أنك "راجل"

وعلي كل حال فإنني أسأل الله الصواب في القول، والهداية في العمل، وهو المسئول في جعل هذه الخدمة نافعة لهذا القطر الذي اتخذته وطنا، أحن إليه ويحنو علي. ثم أقول:

أن أجل خدمة يسدد نحوها أصحاب الأقلام أقلامهم، ويصرف إليها رجال البلاد عنايتهم: إنما هي الاشتغال للمستقبل، وبمعني أوشح: أن يمهدوا السبيل أمام هذا الشعب الذي ليس في وسعنا أن نعده علي قدمه. وبعد عهد نشأته إلا شعبا وليدا بين شعوب العلم، وأمم الحضارة، ويسهلوا له طريق الارتقاء في سلم المدنية العصرية، ولا يكون ذلك إلا بتربية الأمة، ولا تكون تربية الأمة كاملة إلا إذا شملت الرجل والمرأة معا.

ونحن أهل المشرق قد لهونا عن العلم زمنا، ولما تنبهنا له ورجعنا إليه كان تنبهنا نصفيا، بحيث قصرنا التعليم علي أولادنا الذكور كأنهم وحدهم أصحاب الحق فيه، وحرمنا البنات إياه. كأن الجمال غني عن حلية الأدب.

ثم لم نلبث أن أدركنا خطأنا في الأمر، فأخذ كثيرون منا يرسلون بناتهم إلى المدارس. ولما لم يكن في البلاد مدارس لتعليم البنات غير مدارس الإفرنج لم نر بدًا من طرق أبوابها، ومن شاء أن يعرف النتيجة التي جنيناها من هذه التربية الجديدة فليراجع مقالات "ثعلبة" عن الزواج في السنة الماضية من الأهرام.

ولست أرى حاجة للتعريض هنا بالأسباب التي تدعو إلى تعليم الابنة

وتربيتها، بل اكتفي بالإلماع إلى أمر واحد: وهو أن الرجل، والمرأة فرقدان لا يفترقان في كل أطوار الحياة، فالمرأة رفيقة الأخ في صباه، وشريكة الرجل في الحياة الزوجية، ومربية الولد في طفولته. ونحن رجال المشرق أحوج إلى رفيق صالح، وشريك حسن الأخلاق والتربية، ومربٍ كامل الآداب منا إلى أستاذ واسع العلم، غزير المعارف.

ولعمر الحق كيف تحسن المرأة تدبير شئون منزلها، وتجري في الطرق التي تعود بالراحة علي أهل بيتها؟ بل كيف تحسن تربية أولادها في الصغر، وإعدادهم للتربية المدرسية التي تأتي من بعد تربية الأم إذا كانت هذه المرأة نفسها قد خرجت من بيت أبيها إلى منزل زوجها وهي لا تعرف من أمور الدنيا غير التزين والتبرج؟

وإذا كانت الأم لا تعرف كيف تربي أطفالها فمن المكلف بذلك وهي المربية الطبيعية لهم. والرجل مطالب بواجبات أخري لا مندوحة له عنها، ولا مفر منها. ونحن إذا نظرنا إلى فساد أخلاق كثيرين من شبابنا، وسوء سيرة عدة من رجالنا، نرى السبب في ذلك إهمال التربية. فإن الولد كالغصن إذا قومته استقام، ولكنه إذا شب علي خلق شاب عليه.

ولست أطيل الكلام في وجوب تعليم المرأة فإن ذلك أمر لا يختلف فيه اثنان. فتعلم المرأة لازم ضروري كتعليم الرجل نفسه. وعندي أن بعض العلم أوجب للمرأة منه للرجل؛ لأنها كما تقدم لنا القول أول من يدرب الولد ويربيه، ويبث فيه المبادئ، ويعمل علي ترويض أخلاقه، فإذا كانت جاهلة كانت أمومتها ضررا علي أولادها وبالعكس، وإذا نظرنا إلى المسألة من وجه آخر رأينا أن الهيئة الاجتماعية متآلفة من جنسين الرجل، والمرأة. فتعلم الرجل مع بقاء المرأة جاهلة يبقي نصف الهيئة الاجتماعية منفصلا عن النصف الآخر، في حين

أنهما وُجدا لأن يكونا جسما واحدا. وقد نظرت إلى هذا الأمر بعين التبصر والروية، فوجدته حقيقة واقعية، ووجدت العائلة عند بعضنا اسما بلا مسمى، فلا هيئة اجتماعية، ولا ألفة عائلية. وقد أوصلتنا إلى هذه الحالة صوله الجهل التي كانت تصول فوق رؤوسنا، وليس للدين فيها يد خلافا لما يزعم الزاعمون.

وأنني أتحامى الخوض في عباب هذا الموضوع لئلا أتهم بما لا أحب أن أتهم به. وشهد الله أنني أنما التمس خدمة وطني، والنفع لأبناء بلادي.

ونحن الشرقيين يخلق بنا بعد ما صرنا إليه من التأخر في حلبة الحضارة العصرية، والتقهقر في ميدان العلم والمدنية أن نطرح التحزب المذهبي، والعادات التقليدية التي كانت آفة الشرق في ماضيه، وهي لا تزال علته في حاضره، وربما بقيت داء عضالا لمستقبله إذا لم يتلافها عقلاؤنا بالتي هي أحسن. ورحم الله عبدا سمع ففهم، وعلم فعمل.

وإذا كان من الثابت بالبداهة أن تعليم المرأة واجب فلننظرن قليلا في الطرق التي يجب أن نتخذها للوصول إلى هذه الغاية. ونحن الشرقيين لا حاجة بنا إلى تعليم بناتنا نفس العلوم التي نعلمها لبنينا، أو التي يعلمها الإفرنج لبناتهم؛ لأن نساءنا لا يسلمن الوظائف الحسابية، ولا يشتغلن في المسائل الكتابية، وبالجملة أن نساءنا لا يشتغلن كما تشتغل نساء الإفرنج اللواتي يزاحمن الرجل في كل الأشغال، حتى لقد أصبح قسم كبير من وظائف الحكومة التي لا تقتضي من القوة ما لا يوجد إلا عند الرجل محصورا بين أيديهن، ووقفا عليهن. فتعليم المرأة الشرقية ينبغي إذًا أن يكون مختلفا عن تعليم الغربية الأوروبية؛ لأن ما يطلب من هذه لا يطلب من تلك، والذي أراه أن الإفرنج قد تجاوزوا الحد فيما يتعلق بهذا الأمر، حتى إذا استمرت الحال علي هذا المنوال أصبحت المرأة عندهم رجلا ثانيا، وفقدت كل صفات الأنوثة التي لا تكون

المرأة بدونها امرأة ضعيفة، بل تصبح امرأة "مسترجلة"، والفرق بين الاثنتين ظاهر.

وأراني قد تحدثت عن الموضوع، وخرجت عن دائرة البحث الذي توجهت إليه. ونحن ما لنا وللإفرنج في تربية نسائهم، فلهم في ذلك شأنهم، ولننظر نحن في شأننا. فنعود إلى القول بأن الطريقة التي اتبعناها إلى اليوم في تعليم بناتنا ليست بالطريقة المحمودة لأننا –والمسلمين منا خاصة– إذا بعثنا بناتنا إلى مدارس الأجانب فكأننا نرسلهن إليها علي قصد قلب نظام تربيتنا العائلية، وتقاليدنا الوطنية قلبا تاما علي غير رجاء في اكتساب تربية وتقاليد جديدة اكتسابا تاما، فتخرج بناتنا من المدارس لا شرقية ولا غربية، كالغراب أراد أن يتعلم مشية الحجل فلم يستطع ونسى مشيته.

وغاية ما تتعلمه بناتنا في هذه المدارس التكلم بلغة أجنبية، والتطريز علي المناديل، والضرب علي البيانو، والميل إلى احتقار كل ما هو عربي، أو شرقي. وناهيك ما في ذلك من المضار، بل أن ذلك مفسده لحالتنا نحن الشرقيين، وأية مفسدة... في حين أننا نحتاج في تعليم المرأة عندنا إلى أمر هو أسمى من تعليم لغة أجنبية، وضرب آلة موسيقية. فإننا في حاجة إلى أن يصير عندنا نساء يقبضن علي زمام المنزل، ويتولين تربية الأولاد، ويرسلنهم إلى المدارس، ثم يرقبن حالاتهم، وكيفية تعليمهم إلى أن يصيروا رجالا أكفاء لمراقبة أحوالهم بأنفسهم.

ولا يسخطن علي حضرات الوطنيين إذا انكرت وجود مثل أولئك النساء بين نسائهم، ومن الغريب أنهم يعلمون أن وظيفة المرأة في الهيئة الاجتماعية أشرف وأسمى كثيرا من وظيفتها الآن في الشرق، ثم تراهم ساكتين عن ذلك غير مقدمين إلى تغير هذه الحالة رِجلا.

وكيف تتغير الحالة وتصبح المرأة عندنا كما يجب أن تكون إذا لم نعلمها

التعليم الواجب، الضروري لها، المنطبق علي أحوالنا، وأخلاقنا، وطبائعنا؟.

وكيف نلقنها هذا العلم وليست لنا مدارس ترد بناتنا فيها هذا المنهل العذب، وما لدينا من بيوت علم النساء غير مدارس الأجانب، حيث لا تدرس لغة البلاد، ولا تاريخها، ولا قواعد دينها. فلينظر الوطنيون إلى هذه المسألة بعين الأهمية والاعتبار، وليعلموا أن تربية الشعب لا تتم إلا بتربية الرجل والمرأة معا؛ ليكون الرجل قادرا علي مباراة سواه في كل عمل، والمرأة صالحة لإدارة شئون المنزل وتربية الأولاد بالحكمة والتدبير؟ والله المستعان.

ذلك آخر ما نشرناه في جريدة الأهرام في هذا الموضوع الخطير. وكنا قد نشرنا قبل ذلك علي صفحات هذه الجريدة الغراء مقالة أخرى في هذا الموضوع، أشرنا فيها إلى فساد الطريقة التي نجري عليها في تعليم بناتنا، فيضربهن العلم من حيث نرجو لهن النفع به، ولسنا نرى بدا من نشر بعض شذور من تلك المقالة تتمة للفائدة، ووفاء بحق الخدمة. فقد كتبنا في العدد ٥٩٦٠ من جريدة الأهرام الصادر في يوم ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٨٩٧م ما يأتي:

"أول ما نفكر فيه اليوم نحن الشرقيين متى أنيطت التمائم عن فتاة لنا أن نعلمها التلفظ بكلمات أجنبية. فالفرنسية، أو الإنكليزية أول ما تنطق بأحرفها بناتنا. هذا بعد أن نكون قد سميناها باسم أعجمي قد لا تدور مقاطعه علي ألسنتنا، وأنني أعرف آباء وأمهات لا يحسنون التلفظ بأسماء بناتهم. –فاللهم لطفك يا رحيم–. ومتى ترعرعت الفتاة بعثناها إلى إحدي مدارس الإفرنج لتحسن تعلم لغتهم، والضرب علي البيانو، والغناء، والتطريز، والتخريم علي غير اهتمام ولا عناية بالأمور البيتية الأخرى، وبحسن التربية، وفن تدبير المنزل، والتوفير، ومسائل الخياطة، والنج، وإدارة شئون الخدم، وغير ذلك من كل ما

يجب أن يكون من صفات المرأة رفيقة الرجل في رئاسة البيت، بل رئيسته الحقيقية في تدبير الشئون الداخلية.

ولو كان نوع هذه التربية منحصرا في الأغنياء وذوي الثروة واليسار لصبرنا، ولكنه قد تعداهم إلى أهل الدرجة الوسطى، بل إلى الأدنى من الوسطي جريا علي خطة التقليد، وناهيك عن أضرارها.

ومتى خرجت بناتنا من المدارس فإنما يخرجن متعلمات كل شيء إلا ما كان ضروريا للمرأة، فيقمن في الأندية وقاعات الاستقبال متصدرات للحديث في كل موضوع من مواضيع الكتب القصصية، والروايات المثيلية، وحالة الأزياء وما تقادم منها عهده ليطوى، وحلت طلاوة جديدة لينشر...

وليس بذلك تعمر البيوت، ولا علي هذا النحو تربى الفتيات ليغدون نساء فاضلات، وأمهات قادرات علي تربية الأولاد، وتقويم أولادهم، وإصلاح ما يختل من سلوكهم.

ولقد أذكرتني هذه الحالة ما قرأته عن مدام منتينون التي تولت إدارة مدرسة كبيرة للبنات في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر؛ أي منذ نحو ٢٠٠ سنة علي التقريب. فإنها بدأت في إدارة المدرسة علي طريقة التعليم التي نجري عليها اليوم مع بناتنا، ولكنها لم تلبث أن أدركت خطأها، فعدلت عنه إلى التربية الحقيقية التي تجب للجنس اللطيف، وذكرت ما قاله لها فينيلون الفيلسوف صاحب كتاب وقائع تليماك: وهو "أنه يجب أن تتولي المرأة تربية أولادها، فتشمل الذكور منهم بعنايتها إلى أن يخرجهم العمر من يديها؛ ليدفعهم إلى يد المدرس المربي. والبنات إلى أن يتزوجن، أو يعتنقن الرهبنة. وينبغي أن تتولي إدارة الخدم، والنظر في سلوكهم وعاداتهم كي لا يكونوا آفة المنزل، وأن تهتم بأمر النفقة فتجتهد في إتباع طريق التوفير."

فلما تذكرت (دي منتينون) قول فينيلون استبدلت في مدرسة (سان) سير طريقة التربية والتعليم. وأول ما كانت تطالب به البنات الشغل اليدوي بدلا من القراءة والمطالعة، فكانت الكبيرات منهن يعتنين بالصغيرات كأنهن ضرب من الأمهات لتعويدهن سلفا العناية الوالدية، فكان أول ما يبكرن إليه من العمل إلباس الصغيرات، وتسريح شعورهن، وتنظيفهن.

ثم كان لكل منهن دور ونوبة في أشغال المطبخ، وتنظيم الغرف، والأسرة، وقاعة الطعام، وإصلاح الملابس، وجمع الفواكه وعصرها، وعمل الشراب، وأصناف الحلوى، وغير ذلك مما يؤهل الفتاة لأن تصير في مستقبل الأيام مدبرة حكيمة حازمة.

وعلي هذا النحو خرج من تلك المدرسة نساءهن مثالا حسنا وقدوة صالحة. وإذا فرضنا أن ثروة بعض النساء لا تقضي عليهن بالاشتغال في شئون المنزل، فإن علمهن بها يسهل عليهن مراقبة ما يجري في البيوت، وما ذلك بالأمر اليسير.

ثم ليقل لي آباء هذه الأيام، بل لتقل الأمهات أية فتاة من فتياتنا لها إلمام ولو إلى حدج محدود بالمسائل الصحية العامة التي يحتاج إليها في البيت، وأية فتاة من فتياتنا تعرف بعد أن يمر العام علي زواجها، ويرزقها الله مولودا كيف تغسله، وتلفه، وترضعه؟ بل أية فتاة تعرف تضميد جرح بسيط، ولفه برباط أبسط؟.

فلقد شهدت كثيرات من نسائنا إذا قمن بجانب سرير مريض يزدن علته، ويضاعفن ألمه بجهلهن طرق الاعتناء والتمريض. فهل تصلح حالة الأسرة، وتلك حالة المطالبات بالعناية بها؟ وإذا فسد الملح فلا يصلح الطعام. ثم مَن منِ فتياتنا، وما نبذله من أجل تعليمهن تعرف طريقة لكسب رزقها بيدها؟ وإن كنا

نعمل علي تقليد الأوروبيين في تعليم بناتنا فيجب أن نتحداهم، ليس فقط في تعليمهن اللغات الأجنبية، والخفة، والتزين، والتبرج. بل ينبغي أيضا أن يتعلمن العمل حتى إذا دار دولاب الأيام علي إحداهن فلا تصبح عالة علي سواها، بل تقوم هي بلود نفسها.

ولست أرى في ذلك غضاضة ولا موجبا للإنفة، فإنه لخير ألف مرة أن تكسب المرأة ما تعيش به بالكد، والشغل من أن تحتاج إلى السؤال، ولو من أقرب الناس إليها.

وإذا قيل أن عاداتنا الشرقية تحول دون ذلك فلتستبدلن هذه العادات كما استبدلنا سواها بما لا فائدة منه ولا جدوى، وإلا فلنقلعن عن خطة تعليم البنات علي الصورة التي تقدم لنا ذكرها، فإن الجهل عند المرأة خير من العلم المضر. ولنقصرن همنا علي إعداد الفتاة لأن تصبح رفيقة أمينة، وأما حنونا، وامرأة مدبرة. ذلك خير وابقى.

هذا ومن أقوال الغزالي الجميلة: "الصبي وديعة عند والديه". نعم الصبي وديعة عند أبيه وأمه، بل الصبي وديعة عند أمة أكثر مما هو عند أبيه؛ لأنها هي التي تلزمه ليل نهار، فإذا رأي الولد أباه ساعة رأي أمة أياما، وإذا أخذ عن أبيه شيئا أخذ عن أمة أشياء، فإذا كانت هذه الأيام جاهلة فكيف ترد تلك الوديعة التي استودعتها كاملة سالمة؟

فيا أيها الشرقيون علموا بناتكم ليصبحن مدبرات لبيوتكم، وزوجات صالحات لكم، وأمهات حقيقيات لأولادكم، ومعتنيات رؤوفات بشيخوختكم.

أيها الشرقيون إن القول بأن العلم يضر بالمرأة أكثر مما ينفعها قول هراء، لم يقم عليه إلى الآن دليل واحد. ونحن قد جربنا جهل المرأة أحقابا وقرونا،

فلنجربن تعليمها سنين معدودة؛ لنرى الفرق بين الحالتين.

ولعمري أن في هذا القدر كفاية للدلالة علي وجوب تعليم المرأة، وتربيتها. ومع ذلك فإننا سنخص "المرأة" بفصل نضمنه شيئا كثيرا مما قيل في موضوع المرأة من كل ما يعزز قولنا بوجوب تحريرها، وضرورته، ومنحها المقام اللائق بها لتكون كما ينبغي أن تكون شريكة نافعة للرجل في كل أطوار الحياة.